

القضية الفلسطينية

خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة



تأليف

د. محسن محمد صالح

طبعة مزيدة ومنقحة



الفصل الخامس

قضية فلسطين

١٩٨٧-٢٠٠٠



قضية فلسطين ١٩٨٧-٢٠٠٠

مقدمة:

بقدر ما تجلت قدرات الشعب الفلسطيني، في هذه المرحلة، على التضحية والعطاء، بقدر ما كانت الحصيلة السياسية مخيبة للآمال. وبقدر ما تملأت أنوار الانتفاضة المباركة معبرة عن أصالة شعب مقهور، يواجه أطفاله ونساؤه دبابات الصهاينة بالحجارة، والأرواح المتطلعة إلى الحرية والشهادة، بقدر ما زكمت الأنوف اتفاقيات أوسلو Oslo وممارسات السلطة الفلسطينية ضد أبناء شعبها ومجاهديها. وباختصار فإن أبرز معالم هذه المرحلة:

- اندلاع الانتفاضة المباركة (١٩٨٧-١٩٩٣)، وبروز التيار الإسلامي المجاهد.
- اتفاقيات أوسلو بين م.ت.ف والصهاينة سنة ١٩٩٣، والتنازلات المريعة عن حقوق شعب فلسطين.
- ضعف وتفكك وصراع داخلي عربي - عربي إثر استيلاء العراق على الكويت، وما تبع ذلك من حرب ومعاناة وعداوات.
- توقيع الأردن اتفاقية تسوية مع الكيان الصهيوني.
- انهيار الاتحاد السوفييتي وتفككه، وانهيار منظومة الدول الاشتراكية في شرقي أوروبا، والهجرة اليهودية الهائلة منها إلى الكيان الصهيوني، واستفراء أمريكا بالسيطرة العالمية.

أولاً: الانتفاضة المباركة:

حدثت شرارة الانتفاضة المباركة في يوم ٩/٢/١٩٨٧، إثر استشهاد أربعة عمال فلسطينيين في حادث دهس متعمد في اليوم الذي سبقه. وقد قررت الحركة الإسلامية منذ تلك الليلة المشاركة في الانتفاضة وتوجيهها، فبدأت بترتيبها المظاهرات العارمة بعد صلاة فجر ٩ كانون الأول/ ديسمبر من مسجد مخيم جباليا، وسقط الشهيد حاتم أبو سيس، ثم سقط الشهيد رائد شحادة في مظاهرة أخرى قرب مستشفى الشفاء. وتوالى سقوط الشهداء، واتسعت المظاهرات لتعم أرجاء الضفة والقطاع، وليشارك فيها كافة أبناء الشعب. وتميزت هذه الانتفاضة بأربعة مظاهر:





• مشاهد من الانتفاضة المباركة

سنة ١٩٨٧

الأول: أن أهل "الداخل" المحتل (الضفة والقطاع) أخذوا زمام المبادرة النضالية الجهادية، بعد أن كانت بيد العمل من "الخارج".

الثاني: أن التيار الإسلامي شارك بقوة وعنف وفاعلية، وبرز على ساحة المواجهة بحجم منظم مؤثر.

الثالث: أنها شملت كافة قطاعات الشعب الفلسطيني واتجاهاته وفئاته العُمريّة.

الرابع: أنها اتسمت بالجرأة والتضحية، والمشاركة الواسعة للأطفال والفتيان والنساء، وبالمظاهر النبيلة من إيثار وتعاون وشهامة، وبالقضاء على مظاهر العمالة والفساد.

وتميزت المرحلة الأولى من الانتفاضة بالواجهات الشعبية الواسعة والإضرابات، والمظاهرات، ومقاطعة الإدارة المدنية الصهيونية، وتنظيف المجتمع من العملاء ومروجي الفساد والمخدرات. وبعد نحو أربع سنوات أخذت تبرز المرحلة الثانية، التي شهدت تنامي العمليات المسلحة ضدّ الصهاينة، مع تراجع الأنشطة الجماهيرية الواسعة. وقد عدّت حركة فتح وحلفاؤها في م.ت.ف اتفاقية

أوسلو (أيلول/ سبتمبر ١٩٩٣) نهاية للانتفاضة، فأوقفت فاعلياتها، أما الجهات الأخرى وخصوصاً حماس والجهاد الإسلامي فقد استمرت في فعاليتها، بل وصعدتا من عمليتهما الجهادية. غير أن تشكيل السلطة الفلسطينية في الأرض المحتلة (أيار/ مايو ١٩٩٤) أفقد الانتفاضة كثيراً من وهجها، كما أفقدها المشاركة الشعبية الجماهيرية اليومية، فاقترصر الأمر بشكل أكبر على أعضاء الحركات والتنظيمات.



وعلى أي حال، فإن السنوات الست للانتفاضة (كانون الأول/ ديسمبر ١٩٨٧ - كانون الأول/ ديسمبر ١٩٩٣) حسب إحصائية أعدتها م.ت.ف قد شهدت استشهاد ١٥٤٠ فلسطينياً، وبلغ عدد الجرحى ١٣٠ ألفاً، كما اعتقل حوالي ١١٦ ألفاً لمدد مختلفة^١.

ثانياً: نشأة حركة حماس:

وقد تلازم إنشاء حركة المقاومة الإسلامية "حماس" مع بداية الانتفاضة، وأصدرت بيانها الأول في ٤/٢/١٩٨٧، واعتبرت من أكثر الأطراف فاعلية، إن لم تكن أبرزها. وقد عرّفت حماس نفسها بأنها جناح للإخوان المسلمين وامتداد لهم، وذكرت في ميثاقها أنها "تعتبر الإسلام منهجها، منه تستمد أفكارها ومفاهيمها وتصوراتها، وإليه تحتكم، ومنه تسترشد خطاها". وهدفت إلى تحرير فلسطين، وإقامة دولة الإسلام على أرضها، ودعت إلى تربية متكاملة للأجيال لتحقيق الغايات المرجوة.

وقد استطاعت حماس أن تحقق شعبية واسعة، فكان مؤيدوها، ولا يزالون، يحققون من ثلث إلى نصف الأصوات عادة في الانتخابات الطلابية والنقابات المهنية، كما في جامعات النجاح وغزة والخليل وبيريزيت والقدس، ونقابات المهندسين والأطباء والصيدلة والمحامين والمعلمين، وغرف التجارة. وفي مقابلة صحفية للدكتور هشام شرابي المعروف بميوله العلمانية قال إن حماس هي الشكل الجديد للمقاومة، وأنها "نجحت حتى الآن فيما عجزت عنه م.ت.ف وفصائلها خلال أكثر من ربع قرن في استنباط أشكال جديدة لتنظيم الشعب الفلسطيني، وتمكينه من الصراع العسكري الفعال باستقلال عن كل عون خارجي"^٢.

وترى حماس أنه في مثل هذه الظروف من العلو الصهيوني، والتآمر الدولي والضعف السياسي الفلسطيني، والتمزق والتشرذم العربي والإسلامي، فإن عملها لا يستهدف تحرير فلسطين عاجلاً ومباشرة، وإنما يتعامل معها كمعركة تتداولها الأجيال، وفي هذه الأجواء فإنها تسعى إلى تجاوز المرحلة بالمحافظة على الحق وإبقاء جذوة الجهاد. وقد أمكن لها مواجهة التحديات من خلال نوعية الرجال الذين قدمتهم والمستعدين للتضحية والاستشهاد، حتى إن المحللين الإسرائيليين يعترفون أن "حماس قد صكت نماذج جديدة للإنسان الفلسطيني وهم الاستشهاديون الجدد"، وأشار أحد خبراء الصهاينة إلى ما تتمتع به حماس من ديناميكية ومبادرة. كما اعترف الجنرال أوري ساغي Uri Sagi



رئيس شعبة الاستخبارات العسكرية السابق بأن لدى حماس أساليب عمل متطورة، ومستوى عالٍ من السرية، وأنها تنفذ عمليات بارزة قاسية. وقد استطاعت حماس أن تتمتع بحيوية مكنتها من تبديل عدد من الأجيال القيادية في وقت قصير. فكلما كشفت أو استشهدت أو سجنت قيادتها، ظهر من يحل مكانها ويواصل العمل.

كان الجهاز العسكري لحماس "المجاهدون الفلسطينيون" خلال الانتفاضة المباركة بقيادة الشيخ صلاح شحادة، قد تمكن من خطف وقتل الرقيب الصهيوني آفي ساسبورتس Avi Sasportas في ١٩٨٩/٢/٣، والجندي إيلان سعدون Ilan Sa'adon في ١٩٨٩/٥/٣، لكن سرعان ما ضرب هذا الجناح العسكري في أيار/ مايو ١٩٨٩ إثر الحملة الشرسة التي قادتها سلطات الاحتلال. ثم شكلت حماس جناحها العسكري الحالي "كتائب عز الدين القسام" في أيار/ مايو ١٩٩٠ الذي حل محل "المجاهدون الفلسطينيون".



• آفي ساسبورتس وإيلان سعدون



• مبعدو مرج الزهور



• عبد العزيز الرنتيسي وعزيز الدويك في مرج الزهور

وفي ١٩٩٢/١٢/١٣ قامت حماس باختطاف الجندي نسيم توليدانو Nissim Toledano والمطالبة في مقابل الإفراج عنه بالإفراج عن الشيخ أحمد ياسين، وعلى إثر رفض رئيس وزراء العدو إسحق رابين Yitzhak Rabin التجاوب مع مطالبها قامت الحركة بتصفية الجندي، وهو ما دفع رابين للإعلان في الكنيست عن الحرب الشاملة على حركة حماس؛ فتم اعتقال ١٣٠٠ من أنصار حماس، كما أقدمت السلطات الإسرائيلية على أكبر عملية تهجير وإبعاد بعد حرب ١٩٦٧، عندما قامت بإبعاد ٤١٥ غالبيتهم الساحقة (نحو ٣٨٠) من القيادات الإسلامية المدنية

المحسوبة على حماس. غير أن رفض المبعدين للإبعاد وصمودهم في "مرج الزهور" على الحدود مع لبنان، أكسبهم المعركة الإعلامية الدولية ضد الاحتلال، ووسع دائرة الاهتمام بحركة حماس، وزاد من شعبيتها، مما اضطر السلطات الإسرائيلية إلى الموافقة على العودة التدريجية للمبعدين، والتي اكتملت بعد عام من الإبعاد.^٢

وحسب دراسة لغسان دوعر، فقد نفذت حماس سنة ١٩٩٣ ما مجموعه ١٢٨ عملية خسر الكيان الإسرائيلي حسبما أعلن بنفسه ٧٩ قتيلاً و ٢٢٠ جريحاً.^٣



• مذبحة الحرم الإبراهيمي (التي نفذها باروخ جولدشتاين على يسار الصورة)

وبالرغم من أن دخول م.ت.ف في تسوية مع الكيان الصهيوني، وتوليها الحكم الذاتي في المناطق السكانية في الضفة والقطاع (منذ سنة ١٩٩٤) جعل العمل الجهادي أمراً يكاد يكون مستحيلاً، إلا أن الفترة ١٩٩٤-١٩٩٨ شهدت تطوراً نوعياً في العمليات وخصوصاً

الاستشهادية منها. ومن ذلك ردّها على مذبحة الحرم الإبراهيمي في ١٩٩٤/٢/٢٥ بخمس عمليات عنيفة، أدت إلى قتل ما مجموعه ٣٩ إسرائيلياً وجرح ١٥٨ آخرين. وردها على استشهاد يحيى عياش، الذي اغتيل في ١٩٩٦/١/٥ (والذي كان مهندساً لعمليات أدت لقتل سبعين إسرائيلياً وجرح ٣٤٠ آخرين)، بعدة عمليات في الفترة ١٩٩٦/٣/٣-٢/٢٥ مما أسفر عن قتل ٤٥ إسرائيلياً وجرح ١١٣ آخرين حسب المصادر الإسرائيلية. وقد هزت الكيان الصهيوني، واستدعت عقد مؤتمر دولي بمشاركة الدول الكبرى لما أسموه "مباربة



• المهندس يحيى عياش

الإرهاب“. وشعرت أن مشروعها السلمي أصبح في ”مهب الريح“ على حدّ تعبير القيادي الفلسطيني صائب عريقات. وقام الصهاينة والسلطة الفلسطينية، بالتعاون المباشر مع أمريكا وباستخدام كافة التقنيات الأمنية، بحملة شعواء استهدفت اجتثاث كل ما له صلة

بالتيار الإسلامي الحركي المقاوم في فلسطين. ومرّت حماس والجهاد الإسلامي، بمرحلة من أقسى المراحل، وعانت من ضربات قاسية. وتمكنت السلطة من تفكيك معظم،



• محي الدين الشريف وعماد وعادل عوض الله

إن لم يكن كافة، خلايا المقاومة. ولم يتم تنفيذ سوى عمليات محدودة جداً للمقاومة حتى سنة ٢٠٠٠، بينما استشهد عدد من رموز العمل العسكري المقاوم أمثال محي الدين الشريف وعماد عوض الله وعادل عوض الله.



• موسى أبو مرزوق

وعانت حماس من الضغوط والمحاربة في الخارج، فكان اعتقال موسى أبو مرزوق في أمريكا (تموز/ يوليو ١٩٩٥ - أيار/ مايو ١٩٩٧) ومحاولة اغتيال خالد مشعل في ١٩٩٧/٩/٢٥، وإغلاق مكاتب الحركة في الأردن في آخر آب/ أغسطس ١٩٩٩، وإبعاد أربعة من قادتها من الأردن (بعد سجنهم أكثر من شهرين ونصف) إلى قطر في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٩.

وبالرغم من التنسيق الصهيوني، السلطوي الفلسطيني، الدولي لاجتثاث هذه الحركة إلا أن أنصارها ظلوا يفوزون في الانتخابات الطلابية والنقابية، وظلّت حماس تتمتع بثقل شعبي كبير في الداخل والخارج.

ومن جهة أخرى، فإن حركة الجهاد الإسلامي قامت بعدد من العمليات النوعية



• محاولة اغتيال خالد مشعل



والاستشهادية مثل عمليات نتساريم Netzarim في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٩٤، وبيت ليد في كانون الثاني/ يناير ١٩٩٥، وتل أبيب في آذار/ مارس ١٩٩٦. وهي تتعرض لنفس ما تتعرض له حماس من ضغوط ومطاردة. وقد استشهد قائدها فحي الشقاقي في عملية نفذها الموساد الإسرائيلي في ٢٦/١٠/١٩٩٥. وتشير الانتخابات الطلابية إلى تمتع هذه الحركة بنحو ٣-٥% من أصوات الناخبين.

ثالثاً: م.ت.ف: من الكفاح المسلح إلى التسوية السلمية:

عانت م.ت.ف من استضعاف سياسي إثر المحاولات المتوالية لاجتثاثها عسكرياً، ووصلت حالة تهميشها مدى كبيراً في مؤتمر القمة العربي في عمّان في تشرين الأول/ أكتوبر ١٩٨٧. وعندما اندلعت الانتفاضة المباركة عدّتها م.ت.ف رافعة سياسية لها، فحاولت استثمارها بشكل مبكر. فقامت بتشكيل القيادة الوطنية الموحدة للانتفاضة (بعد شهر من اندلاعها)، وشاركت الفصائل الفلسطينية وخصوصاً فتح بفعالية في الانتفاضة. وردّ الكيان الصهيوني باغتياله لأبي جهاد رحمه الله (الرجل الثاني في م.ت.ف وفي فتح) في تونس في ١٦/٤/١٩٨٨، وذلك ضمن حملته الشرسة لقمع الانتفاضة. وقد استفادت م.ت.ف من قيام الأردن بفك روابطه الإدارية والقانونية مع الضفة الغربية في ٣١/٧/١٩٨٨، لتؤكد تمثيلها الرسمي الوحيد لأهل الضفة الغربية، ولتخوض ما أسمته ”هجوم السلام الفلسطيني“.

وفي المجلس الوطني الفلسطيني التاسع عشر (١٢-١٥/١١/١٩٨٨) الذي يتبع م.ت.ف تمّ وضع برنامج فلسطيني قائم على الاعتراف بقرار الأمم المتحدة رقم ١٨١ لسنة ١٩٤٧ القاضي بتقسيم فلسطين لدولتين عربية ويهودية. واعترفت م.ت.ف لأول مرة بقرار ٢٤٢ الصادر عن مجلس الأمن في تشرين الثاني/ نوفمبر ١٩٦٧. ودعت إلى تسوية سياسية من خلال مؤتمر دولي. وحتى ”يتجرع“ الفلسطينيون كل هذه ”المرارات“ فقد أعلن المجلس ”استقلال فلسطين“. ولقد لقي هذا الإعلان ترحيباً دولياً واسعاً، حيث اعترفت بهذه الدولة حوالي ١٢٠ دولة خلال بضعة أشهر. وبالرغم من أن الولايات المتحدة ودول أوروبا الغربية لم تعترف بها، وبالرغم من

أنها عملياً كانت "أملاً" لم يرق بعد على أرض الواقع، إلا أن ذلك أعاد تحريك القضية دولياً، وأعاد لمنظمة التحرير الفلسطينية حضورها السياسي، بعد أن رضيت لنفسها "بتقزيم" مطالبها و"قصصنة" برامجها النضالية.



• المجلس الوطني الفلسطيني الـ ١٩ في الجزائر ١٩٨٨

وفي أواخر الثمانينيات وأوائل التسعينيات حدثت تغييرات على المستوى العربي والدولي أضعفت كثيراً الموقف الفلسطيني والعربي. فقد حدث مزيد من الضعف والتفكك في الساحة العربية، خصوصاً إثر الاجتياح العراقي للكويت في ١٩٩٠/٨/٢ وما نتج عنه من عدااء بين البلاد العربية، واستنزاف الموارد والثروات العربية، وتدمير البنية العسكرية للعراق، وتهجير وهجرة مئات الآلاف من الفلسطينيين من الكويت في أثناء الاجتياح العراقي، وبعد انسحابه منها، وما تلاه من حجب الدعم عن م.ت.ف... وبشكل عام فإن هذا الاجتياح وما استتبعه من "حرب الخليج" ونتائجها، كان له آثار كارثية على قضية فلسطين.

أما في الإطار الدولي، فقد شهدت هذه الفترة انهيار الاتحاد السوفيتي وتفككه، وكذلك كتلة الدول الاشتراكية، وتحولها من حالة المنافسة والعداء مع أمريكا وحلفائها إلى حالة من التوافق و"الاسترضاء"، في ضوء التحول نحو الرأسمالية والديموقراطية



الغربية، والحاجة إلى المساعدات الاقتصادية من الغرب. وقد أسهم ذلك في اختلال التوازن السياسي الدولي، الذي كان يستفيد منه الجانب الفلسطيني والعربي إلى حدّ ما، عندما كانت هناك حالة من التنافر والاستقطاب تسمح بمجال للمناورة.

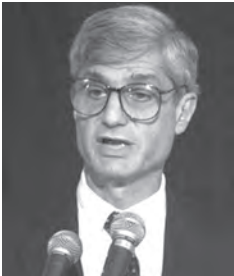
وهكذا برزت الولايات المتحدة كقوة وحيدة أولى في العالم، خصوصاً بعد حرب الخليج في أوائل سنة ١٩٩١. وزاد الوضع سوءاً تزايد النفوذ اليهودي الصهيوني فيها، حتى إنه عيّن في



• بيل كلينتون



• دان جيلكمان



• روبرت روبين



• آلان جرينسبان



• وليم كوهين



• جورج تينيت

إدارة الرئيس الأمريكي بيل كلينتون Bill Clinton وزراء يهود في مناصب حساسة، مثل وزيرة الخارجية مادلين أولبرايت Madeleine Albright، ووزير المالية روبرت روبين Robert Rubin، ووزير الدفاع وليم كوهين William Cohen، ووزير الزراعة دان جيلكمان Dan Glickman. هذا بالإضافة إلى وجود سبعة يهود من أصل أحد عشر في مجلس الأمن القومي، و رئاسة اليهودي آلان جرينسبان Alan Greenspan لمجلس الاحتياط الفيدرالي الأمريكي (البنك المركزي)، واليهودي جورج تينيت George Tenet لوكالة المخابرات المركزية CIA وغيرها.

وقد استثمرت الولايات المتحدة ذلك في فرض هيمنتها وإدارتها وتصوراتها لنظام عالمي جديد، كما سعت لإغلاق الملف الفلسطيني بما

يخدم مصالح حليفها الاستراتيجي "إسرائيل". بينما قطف الكيان الإسرائيلي ثماراً غالية نتيجة انهيار الاتحاد السوفييتي والدول الاشتراكية، فأعدت هذه الدول علاقاتها

الدبلوماسية معها، كما فتحت أبواب الهجرة اليهودية إلى فلسطين المحتلة، خصوصاً من الاتحاد السوفيتي، وقد احتفل الكيان الصهيوني في ٧/٥/٢٠٠٠ بقدوم المهاجر رقم مليون منذ بداية موجة الهجرة من الاتحاد السوفيتي في أيلول/سبتمبر ١٩٨٩، وقام رئيس الوزراء باستقباله بنفسه^٦. وشملت موجة الهجرة هذه نحو ٩٢ ألف عالم متخصص في شتى المجالات^٧، بينهم عدة آلاف متخصصون في الصناعات النووية، فضلاً عن الكثير من الكفاءات العسكرية العالية، مما زاد من خطورة الكيان الإسرائيلي ومشروعه في المنطقة.



• مهاجرون يهود



• حيدر عبد الشافي

وفي هذه الأجواء المثالية لأمريكا و"إسرائيل"، نجحت الولايات المتحدة في جرّ البلاد العربية إلى مؤتمر السلام العربي الإسرائيلي في مدريد في تشرين الأول/أكتوبر ١٩٩١، تلتها مفاوضات عربية إسرائيلية مباشرة. ولم تنفع حوالي سنتين من المفاوضات بين الجانب الفلسطيني والجانب الإسرائيلي في كسر التصلب الصهيوني. وقد جاءت المفاجأة عندما أعلن عن اتفاق أوسلو بين الطرفين، حيث كُشف النقاب عن مفاوضات سرية كانت تجري بين

الطرفين منذ ٢٠/١/١٩٩٣ من وراء ظهر الوفد الفلسطيني الرسمي المفاوض (برئاسة حيدر عبد الشافي)، ومن دون علم معظم قادة م.ت.ف. وقد وقع الاتفاق بالأحرف الأولى في ١٩/٨/١٩٩٣ في أوسلو بالنرويج، وتمّ التوقيع عليه رسمياً في ١٣/٩/١٩٩٣



• توقيع اتفاقية أوسلو ١٩٩٣

في واشنطن برعاية الرئيس الأمريكي بيل كلينتون، وحضور ياسر عرفات ورئيس الوزراء الإسرائيلي إسحق رابين، ووقعه عن الجانب الفلسطيني محمود عباس، وعن الجانب الإسرائيلي وزير الخارجية شمعون بيريز Shimon Peres، كما وقعه وزيراً خارجية أمريكا وروسيا كشاهدين.



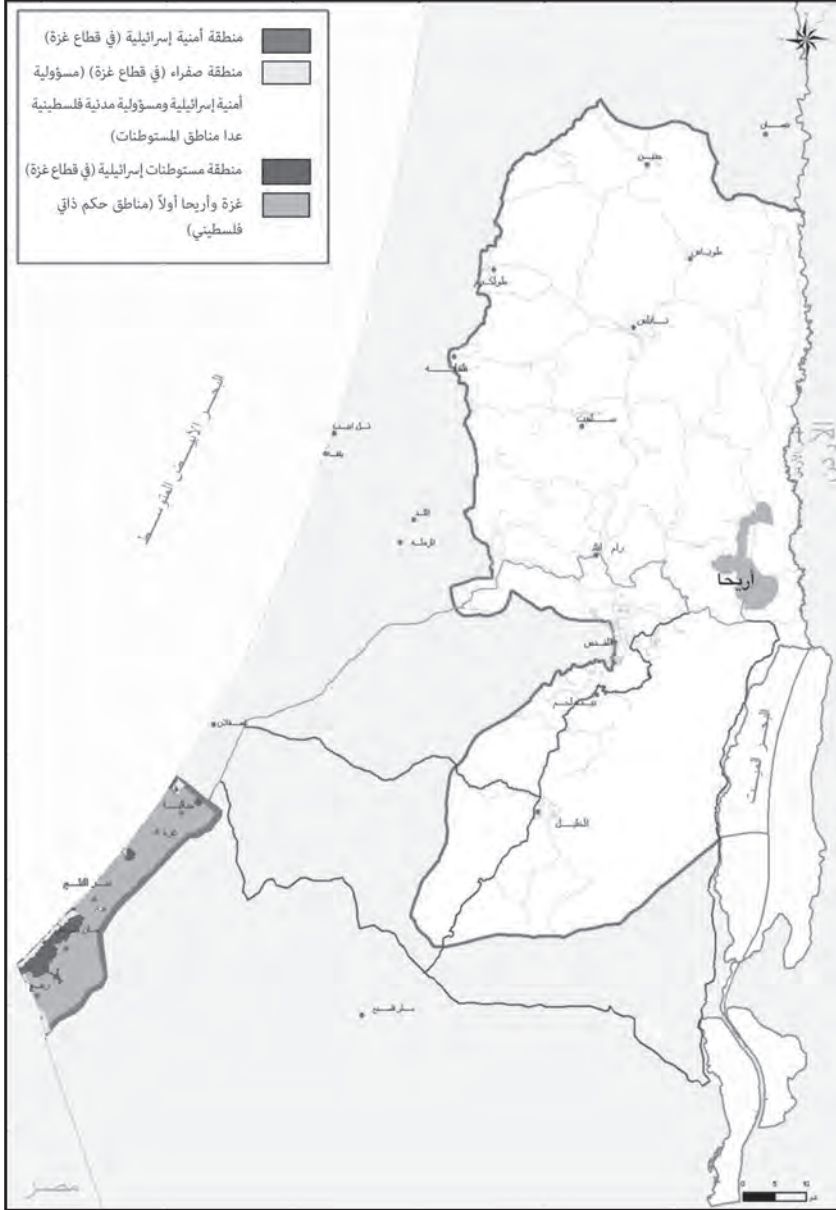
وقد اتسم اتفاق أوسلو^١، الذي قامت على أساسه السلطة الفلسطينية، بالمرحلية. إذ تضمن حكماً ذاتياً في قطاع غزة وأريحا أولاً على أن يغطي مناطق فلسطينية أوسع في مراحل تالية خصوصاً تلك المأهولة بالسكان، وتشمل صلاحيات السلطة التعليم والصحة والشؤون الاجتماعية والضرائب المباشرة والسياحة. بينما تجري المفاوضات حول القضايا الحساسة والوضع النهائي بعد سنتين من بدء الحكم الذاتي. على أن السلوك الصهيوني اتسم بالمماطلة والتسويف والتعجيز، بحيث مرّ إعطاء الصلاحيات للفلسطينيين بكثير من التعقيدات التي عادة ما كان جوهرها مطالبة "السلطة" بالنجاح في "الاختبار" الإسرائيلي في ضرب حماس وحركات المقاومة، وتقديم السلطة لمزيد من التنازلات.

وتمّ عقد عدة اتفاقيات تفصيلية تالية، فكان اتفاق القاهرة في ١٩٩٤/٥/٤، واتفاق طابا في ١٩٩٥/٩/٢٨، مروراً باتفاقية واي ريفر بلانتيشن Wye River Plantation Agreement في ١٩٩٨/١٠/٢٣، ومذكرة شرم الشيخ في ١٩٩٩/٩/٤. ووزعت مناطق الحكم الذاتي إلى مناطق (أ) و(ب). وحتى سنة ٢٠٠٠ لم تكن السلطة تسيطر سوى على ١٨% من أراضي الضفة تحت بند (أ) حيث سيطرتها الأمنية والإدارية، ونحو ٢٠-٢٥% من أراضي الضفة تحت بند (ب) حيث تسيطر إدارياً بينما يكون الإشراف الأمني مشتركاً مع الصهاينة.

وبشكل عام، فإن أبرز الانتقادات والملاحظات على اتفاق أوسلو يمكن تلخيصها فيما يلي:

١. قضية فلسطين قضية كل المسلمين وليست قضية الفلسطينيين وحدهم، وهي معركة تتوارثها الأجيال، ولا يجوز لجيل أن يرضخ أو يتنازل فيغمت حقّ الأجيال التالية. وقد أجمع علماء المسلمين الثقات على عدم جواز هذه التسوية بالشكل الذي تمت فيه، ودعوا إلى وجوب الجهاد لتحرير الأرض المباركة.
٢. تفردت قيادة م.ت.ف بالموافقة على الاتفاق والاتفاقات التي تلتها، ولم ترجع حتى إلى الشعب الفلسطيني نفسه، الذي توجد فيه تيارات واسعة معترضة على هذه التسويات من الإسلاميين واليساريين والقوميين، وحتى في حركة فتح نفسها.
٣. اعترفت قيادة م.ت.ف "بحق إسرائيل في الوجود"، وبشرعية احتلالها لـ ٧٧% من أرض فلسطين المحتلة سنة ١٩٤٨، والتي لا تجري عليها أية مفاوضات.
٤. لم يتم التعرض لأخطر القضايا حيث تمّ تأجيلها إلى مرحلة المفاوضات النهائية، ولأن م.ت.ف تعهدت بعدم اللجوء إلى القوة إطلاقاً، فقد أصبح الأمر مرتبطاً بمدى "الكرم الصهيوني" الذي يملك عناصر القوة وأوراق اللعبة، وهذه القضايا:

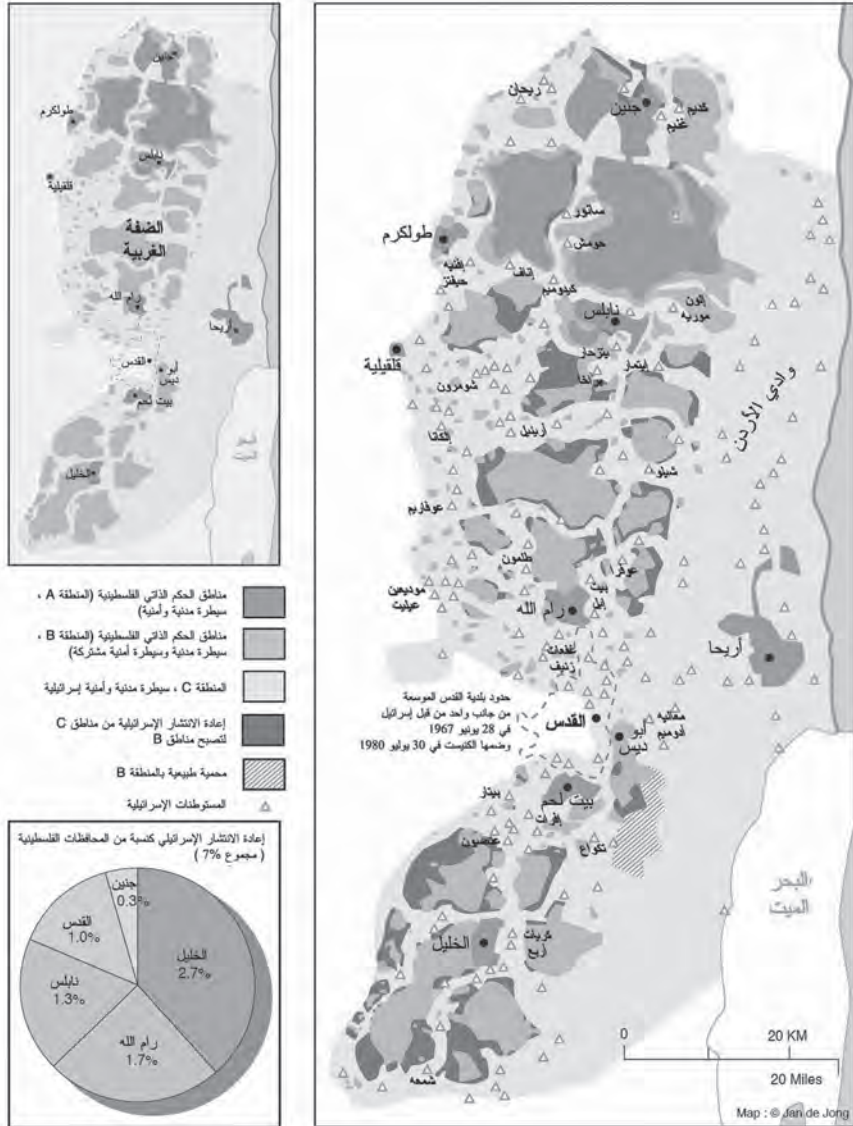
- أ. مستقبل مدينة القدس .
 ب. مستقبل اللاجئين الفلسطينيين .
 ج. مستقبل المستعمرات الصهيونية في الضفة الغربية وقطاع غزة .
 د. مساحة الدولة الفلسطينية الموعودة، وسيادتها على أرضها .



• اتفاق غزة وأريحا أولاً



٥. لا تتضمن مسؤوليات السلطة الفلسطينية الأمن الخارجي والحدود، ولا يستطيع أحد دخول مناطق السلطة دون إذن إسرائيلي. ولا يجوز للسلطة تشكيل جيش، والأسلحة تدخل بإذن إسرائيلي.
٦. للكيان الصهيوني حقّ النقض "الفيتو" على أية تشريعات تصدرها السلطة خلال المرحلة الانتقالية.



مترجم عن الأصل، مؤسسة سلام الشرق الأوسط FMEP.

• مناطق الحكم الذاتي الفلسطيني (مذكرة شرم الشيخ ١٩٩٩)



٧. لا يوجد في الاتفاقيات إشارة إلى حقّ الفلسطينيين في تقرير المصير، أو إقامة دولتهم المستقلة، ولا تشير الاتفاقيات إلى الضفة والقطاع كأرضٍ محتلة، مما يعزز الاعتقاد بأنها أراضٍ متنازع عليها.

٨. في الوقت الذي تعهدت فيه م.ت.ف (السلطة الفلسطينية) بعدم اللجوء إطلاقاً للمقاومة المسلحة ضدّ الكيان الصهيوني، وبحل كافة مشاكلها بالطرق السلمية، فإنها في الوقت نفسه أصبحت مضطرة، في ضوء تعهداتها السلمية، لقمع وسحق أية مقاومة مسلحة ضدّ الكيان الصهيوني، ومحاربة أبناء شعبها الذين يقومون بذلك. ووجدت نفسها، عملياً، أداة لحماية "الأمن الإسرائيلي" في مناطقها، وقامت بحملات اعتقال واسعة وشرسة إثباتاً "لحسن نواياها"، وحرصاً على السلام مع "إسرائيل".

لقد كان الكاتب الفلسطيني المعروف إدوارد سعيد دقيقاً إلى حدّ كبير عندما قال إن عرفات "ورّط شعبه بمصيصة لا مخرج منها"^٩، بينما قال المفكر الفلسطيني هشام شرابي إن القيادة الفلسطينية "لا تعرف كيف يؤخذ القرار، وكيف يتم تقرير المصير"^{١٠}.

رابعاً: السلطة الفلسطينية:

بدأ دخول الشرطة الفلسطينية قطاع غزة في ١٨/٥/١٩٩٤، وأدى أعضاء الحكم الذاتي اليمين الدستورية أمام ياسر عرفات في أريحا يوم ١٩٩٤/٧/٥. وقد صدقت الكثير من التخوفات حول التسوية وأداء السلطة المحتمل. فلأن اتفاقات الحكم الذاتي مؤقتة، ولأن تسليم الأرض للسلطة يتم "بالقطارة" جرعة... جرعة، ولأن تحقيق أي تقدم بات مرهوناً برضى الطرف الإسرائيلي، فقد وجدت السلطة الفلسطينية نفسها "تحت رحمة" الطرف الآخر، وأصبحت مضطرة للاستجابة لضغوطه، في سبيل الحصول على أية حقوق مهما كانت ضئيلة. وقد سعى الصهاينة إلى الماطلة والتسويف لتحقيق تنازلات جديدة، كما ربطوا بين أي تقدم في التسوية وبين سحق السلطة الفلسطينية للمعارضة المسلحة. ونجح الكيان الصهيوني في وضع حماس والجهاد الإسلامي والمعارضة الفلسطينية كعائق في الطريق، على السلطة أن تدكّه وتقمعه حتى تصل إلى ما تحسبه أهدافاً وطنية فلسطينية.



وبالفعل، فبعد سنوات من اتفاقات أوسلو، استمرت المماطلات الإسرائيلية، ولم تُحسم القضايا الجوهرية، التي كان يجب أن تحسم حسب الاتفاق سنة ١٩٩٨. وصارت مراكز سيطرة السلطة الفلسطينية الفعلية هي في المناطق المأهولة بالسكان، والتي كان الصهاينة يرغبون منذ زمن طويل بإيكال جميع "المهام القذرة" فيها، من ملاحقات أمنية، وضرائب، وأعمال بلدية...، إلى من ينوب عنهم بذلك، حتى يصبح استعمارهم استعماراً "نظيفاً".

وتضخم الجانب الأمني لدى السلطة الفلسطينية ليقوم بدوره المطلوب، فبلغ عدد الشرطة الفلسطينية نحو ٤٠ ألفاً، ليشكل أعلى نسبة شرطة في العالم مقارنة بعدد السكان. وشكلت السلطة ثمانية أجهزة أمنية مختلفة، تعاملت دون هوادة مع المعارضة الفلسطينية، ونسقت بشكل مباشر مكشوف مع الأجهزة الأمنية الإسرائيلية والأمريكية. وتضخمت ميزانية الأمن ومكتب الرئيس عرفات لتصبح في سنة ٢٠٠٠ حوالي ٧٠% من مجموع ميزانية السلطة^{١١}.

وقد كان ذلك على حساب الحالة الاقتصادية، وعلى حساب مؤسسات التعليم والحريات السياسية والمؤسسات الاجتماعية. ففي نيسان/ أبريل ٢٠٠٠ وصفت شخصيات فلسطينية بارزة ومنظمات حقوق إنسان اتفاق أوسلو بأنه بمثابة كارثة اقتصادية وسياسية للفلسطينيين، ودعت عرفات في وثيقة نشرت في واشنطن إلى الاستقالة. وقالت الوثيقة إن نصيب الفرد الفلسطيني من الدخل انخفض بنسبة ٣٠%، وأن معدل البطالة تضاعف ثلاث مرات في الضفة والقطاع منذ ١٩٩٣^{١٢}.

وعانت السلطة من الفساد الإداري والمحسوبية التي تفتشت بسرعة في أجهزتها. حتى إن أحد كبار قادة فتح نفسها "محمد جهاد" لم يتورع عن القول إن عرفات قد أحاط نفسه بثلة من اللصوص والمبتزين^{١٣}. ونقل عن شخصية أخرى قولها "العربدات تمارس بشكل يومي في الشارع...، والحديث عن الانحلال والرشوة والمحسوبية يزكم الأنوف"^{١٤}. وفي أيار/ مايو ١٩٩٧ صدر تقرير لجنة المراقبة في المجلس التشريعي الفلسطيني التابع لسلطة الحكم الذاتي مؤكداً أن الفساد المالي في أجهزة السلطة والسرقات قد طالعت ٣٢٦ مليون دولار أمريكي، وهو مبلغ هائل، وهو ما أمكن كشفه، بالنسبة إلى ميزانية السلطة التي كانت بحدود مليار و٥٠٠ مليون دولار. وقد صوّت المجلس التشريعي بحجب الثقة عن حكومة عرفات (٥٦ صوتاً مقابل صوت واحد)



بسبب ذلك. وفي تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٩٩ وقّع عشرون مفكراً وشخصية فلسطينية بارزة تحت حكم السلطة وثيقة ”العشرين“ التي اتهمت السلطة بالفساد والمحسوبية والشللية وقمع الحريات... وغير ذلك. وقد وصف هشام شرابي الوضع قائلاً: ”إن السلطة الفلسطينية بتركيبها الحالي لا تمثل الشعب الفلسطيني...، إنها عاجزة عن إحداث أي تغيير في الوضع الذي يعيشه الشعب الفلسطيني، وهي نفسها أحد أسباب تفاقم وضعه المأساوي“^{١٥}.

ومن جهة أخرى، فقد عانت المعارضة من قمع السلطة الأمني، ومن الحملات المستمرة لاجتثاثها. وللقارئ أن يتصور أن السلطة شنت في السنة الأولى من عمرها ١٢ حملة اعتقال. وفي قطاع غزة الذي لا تتجاوز مساحته ٣٦٣ كم^٢ كان يتبع السلطة ٢٤ مركز توقيف واعتقال. وفي شهر واحد مثلاً (١٩/٤-١٩/٥/١٩٩٥) داهمت السلطة ٥٧ مسجداً ٣٨ مرة، في إطار قمعها للاتجاه الإسلامي^{١٦}. وتوالت الحملات الأمنية بعد كل عملية جهادية، وكان أشدها حملة آذار/مارس ١٩٩٦ إثر العمليات الاستشهادية التي نفذتها حماس انتقاماً لاستشهاد يحيى عياش. ولم تنجح محاولات الحوار بين السلطة وحماس، وحدث أكثر من مرة أن تعتقل السلطة محاوريهها وتعذب عدداً منهم أمثال حسن يوسف وجمال سليم وغيرهم. وقد نجح التنسيق الأمني الصهيوني - الفلسطيني - الأمريكي في إحباط الكثير من العمليات الجهادية، وفي القبض على كثير من المجاهدين. وفي كانون الثاني/يناير ١٩٩٧ أعلنت منظمات حقوق الإنسان أن هناك ١٦٠٠ معتقل فلسطيني في سجون السلطة الفلسطينية بينهم ٧٠٠ دون تهم أو محاكمة^{١٧}.

خامساً: الكيان الإسرائيلي:

خلال ٥٢ عاماً من إنشائه (١٩٤٨-٢٠٠٠) تمكن الكيان الصهيوني من استقدام نحو مليونين و ٩٠٠ ألف مهاجر يهودي، وتزايد عدد اليهود في فلسطين المحتلة من ٦٥٠ ألفاً سنة ١٩٤٨ إلى أربعة ملايين و ٩٤٧ ألفاً في نهاية سنة ٢٠٠٠، أي حوالي ٣٨% من يهود العالم^{١٨}.

واستطاع الكيان الصهيوني أن يتجاوز عزلته الدولية، فمع انحلال الاتحاد السوفييتي والأنظمة الشيوعية ”هرولت“ روسيا ودول أوروبا الشرقية باتجاه



فتح سفاراتها وتعزيز علاقاتها السياسية والاقتصادية مع الدولة الصهيونية. ومع الضعف العربي والإسلامي إثر احتلال الكويت وحرب الخليج (١٩٩٠-١٩٩١)، وتوقيع م.ت.ف لاتفاقيات أوسلو، قامت الأردن بعقد اتفاق تسوية سلمية مع الكيان الصهيوني، وتبعته عدد من الدول العربية بتبادل فتح مكاتب تمثيل تجاري ورعاية مصالح (قطر، عُمان، تونس...)، وقامت أكثر من خمسين دولة أخرى في العالم بفتح علاقات دبلوماسية واقتصادية مع الكيان الصهيوني.

ومع تراجع مشروع التحرير والحروب العربية، ومع تولي السلطة الوطنية الفلسطينية في الضفة والقطاع مهام قمع المعارضة المسلحة للكيان الصهيوني، استمتع الكيان بحالة من الاستقرار النسبي، مكّنته من مضاعفة نموه الاقتصادي. فقد تمكن من مضاعفة الناتج المحلي الإجمالي من ١٥ مليار و٣٠٠ مليون دولار أمريكي سنة ١٩٨٣ إلى ١٠٥ مليارات و٤٠٠ مليون دولار سنة ٢٠٠٠ أي بنحو سبعة أضعاف (٦٨٩%)، ولم يعد تحت رحمة المساعدات الأمريكية والهبات الخارجية التي كانت تشكل سنة ١٩٨٣ نحواً من ٢٥% من دخله القومي، فأصبحت لا تشكل أكثر من ٣%، وإن ظلت مبالغ المساعدات والهبات نفسها دون تغيير (حوالي أربعة مليارات دولار سنوياً). وارتفع معدل الدخل السنوي للفرد في الكيان الصهيوني إلى ١٨٣٠٠ دولار أمريكي سنة ٢٠٠٠ ليشكل أحد أعلى الدخول في العالم.

هوامش الفصل الخامس

- ^١ جريدة صوت الشعب، عمّان، ١٩٩٣/٢/٨.
 - ^٢ جريدة الحياة، لندن، ١٩٩٥/٣/٥.
 - ^٣ انظر أعداد مجلة فلسطين المسلمة، لندن، التي غطت عملية الإبعاد وأخبار المبعدين بالتفصيل طوال سنة ١٩٩٣.
 - ^٤ انظر: غسان دوعر، موعد مع الشاباك: دراسة في النشاط العسكري لحركة حماس وكتائب عز الدين القسام خلال عام ١٩٩٣ (لندن: فلسطين المسلمة، ١٩٩٥).
 - ^٥ حول حماس، انظر: محسن صالح، الطريق إلى القدس، ص ١٨٣-٢٠٥؛ وخالد الحروب، حماس (بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية، ١٩٩٧).
 - ^٦ جريدة الخليج، الشارقة (الإمارات)، ٢٠٠٠/٥/٨.
 - ^٧ الخليج، ٢٠٠٠/١/٢٥، وحسب المصدر نفسه يوجد في الكيان الصهيوني عشرة آلاف عالم نووي.
 - ^٨ حول اتفاق أوسلو وما تلاه، انظر: عماد يوسف وآخرون، الانعكاسات السياسية لاتفاق الحكم الذاتي الفلسطيني (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ١٩٩٥)؛ ومنير شفيق، أوسلو "١" و"٢": المسار والمآل (لندن: فلسطين المسلمة، ١٩٩٧)؛ ومحسن صالح، الطريق إلى القدس، ص ١٧٤-١٨٢.
 - ^٩ الحياة، ١٩٩٥/٨/١٢.
 - ^{١٠} الحياة، ١٩٩٥/٣/٥.
 - ^{١١} حسبما تناقلته الأخبار، ٢٠٠٠/٣/٨، انظر: المركز الفلسطيني للإعلام، ٢٠٠٠/٣/٢، في: <http://www.palestine-info.info/ar/>
 - ^{١٢} الخليج، ٢٠٠٠/٤/١٦.
 - ^{١٣} جريدة السياسة، الكويت، ١٩٩٥/٤/٢٧.
 - ^{١٤} جريدة الشرق الأوسط، لندن، ١٩٩٥/٣/٢٢.
 - ^{١٥} تصريح هشام شرابي في: الحياة، ١٩٩٥/٣/٥.
 - ^{١٦} داود سليمان، السلطة الوطنية الفلسطينية في عام ١٩٩٤-١٩٩٥ (عمّان: مركز دراسات الشرق الأوسط، ١٩٩٥)، ص ١٣٥.
 - ^{١٧} Palestine Facts 1997, Palestinian Academic Society for the Study of International Affairs (PASSIA), http://www.passia.org/palestine_facts/chronology/1997.htm
 - ^{١٨} حول الهجرة اليهودية وأعداد اليهود، انظر: Central Bureau of Statistics (CBS), *Statistical Abstract of Israel 2010*, no. 61, table 4.2, http://www1.cbs.gov.il/shnaton61/st04_02.pdf
- وانظر: عمران أبو صبيح، الهجرة اليهودية حقائق وأرقام: ١٩٩٠-١٨٨٢ (عمّان: دار الجليل للنشر، ١٩٩١).



The Palestinian Issue: Historical Background and Contemporary Developments



هذا الكتاب

يحاول هذا الكتاب تقديم صورة شاملة عن القضية الفلسطينية من خلال استعراض خلفياتها التاريخية وتطوراتها المعاصرة.

ويستعرض الكتاب، بأسلوب علمي موثق وبلغة سهلة، وبشكل مُركّز ومختصر، تاريخ فلسطين في عصورها الأولى مروراً بالعهد الإسلامي، وخلفيات نشوء المشروع الصهيوني، ومرحلة الاحتلال البريطاني لفلسطين، وقيام الكيان الإسرائيلي. ويدرس ظهور القضية الفلسطينية وتطورها، مسلطاً الضوء على كفاح الشعب الفلسطيني وانتفاضاته وثوراته، ودور منظمة التحرير الفلسطينية وفصائلها، ودور التيار الإسلامي الفلسطيني.

ويعطي الكتاب تركيزاً خاصاً على العقد الأول من القرن الحادي والعشرين، ليتمكن القارئ الكريم من استجلاء الكثير من النقاط المتعلقة بالواقع المعاصر للقضية. ويأتي الكتاب في طبعة مزينة ومنقحة تغطي الفترة حتى سنة ٢٠١١، كما يأتي مدعماً بالصور والخرائط التوضيحية.

ويعدّ هذا الكتاب مصدراً مهماً للقراء الذين يريدون التعرف بشكل عام على القضية الفلسطينية، وإدراكها بشكل علمي متوازن، وبما يشكّل مدخلاً لمن يحب بعد ذلك الدخول في التخصص والتفصيلات.

مركز الزيتونة للدراسات والاستشارات

Al-Zaytouna Centre for Studies & Consultations

ص.ب. 14-5034 بيروت - لبنان

تلفون: +961 1 803 644 | تليفاكس: +961 1 803 643

info@alzaytouna.net | www.alzaytouna.net

